من مكتبة المجاهد

صدمة المستقبل

يقول أحد العلماء الامريكيين: « ان عالم الستينات يختلف عن العالم الذى ولدت فيه بالدرجة التى يختلف بها العالم الذى ولدت فيه عن عالم يوليوس قيصر: وبهذا أكون قد ولدت فى منتصف تاريخ الانسانية . ذلك لان اهمية الحوادث التى وقعت منذ ميلادى تعادل او تتجاوز ما حدث فى تاريخ الانسانية، ما بين ميلادى وعهد قيصر . »

تأليف **ألفين توفلر**

عرض **الأزرق بن علو**

ويوضح مؤلف كتاب « صدمة المستقبل » هذه الحقيقة فيقول: اذا قسمنا الخمسين الف سنة المنصرمة من تاريخ البشرية الى عدد من حياة اشخاص، وجعلنا معدل كل حياة يعادل اثنين وستين سنة، فاننا نحصل على ثمان مائة حياة (اى 800 × 62 = 49،600 سنة) .

وقد قضت البشرية اكثر من اربعين الف سنة فى الكهوف . ولم يصبح الانسان قادرا على نقل اخباره ونشاطاته للجيل اللاحق الا خلال السبعين حياة الماضية، عندما استعمل الكتابة والقراءة . ولم تتمكن جماهير الناس من قراءة ما يكتب وينشر بواسطة الطباعة الا خلال « الست حياتات » الماضية . ومنذ حوالى مائة وثلاثين فقط بدأ الانسان يستعمل المحرك الكهربائى . والاغلبية الساحقة من المواد والالات التى نستعملها اليوم صنعت خلال « الحياة » الثمان مائة اى خلال الستين سنة الاخيرة .

وبهذا يشرح لنا المؤلف كيف ولماذا يعتبر القرن العشرين نقطة فاصلة بين ماضى الانسانية وحاضرها . فخلال هذا القرن انعكست علاقة الانسان بالموارد . ويبدو هذا واضحا فى مجال الزراعة التى ظلت، خلال عشرات القرون، مورد الحياة الاساسى . بينما نجد اليوم عددا متزايدا من الدول يستخدم طاقة اقل من 12٪، من مجموع القوة الوطنية العاملة، فى الزراعة . وتصل هذه النسبة الى 4٪ فى امريكا .

كما ان مظاهر التغير والتبدل اصبحت اعمق واوسع اليوم . تغيرت الحدود وزالت الحواجز واتسعت الافاق . فحادثة تقع فوق ارض فيتنام مثلا تحدث تحالفات فى واشنطن . وتقوم مظاهرات فى اليابان او البرازيل فتتأثر السوق المالية فى زوريخ الى غير ذلك . ولم يكن الامر كذلك فى العصور الغابرة .

وهدف المؤلف أن يلفت انتباهنا لاهمية وسرعة ما يحدث اليوم . فكتابه «صدمة المستقبل» يعالج تأثير التغير المستمر على مجتمعاتنا ومنظماتنا ومنتوجاتنا وما يحدث من ضغط فى حياتنا وتأثير ذلك على العلاقات والمعاملات الانسانية وعلى أساليب الحياة العائلية وعلى الصداقة والحب والزواج والولادة والعمل والاستجمام .. الخ .

لقد كتب الشىء الكثير عن المستقبل، وبعض ما كتب يهتم بالناحية الالية والتقنية اكثر من الناحية الانسانية . ولكن « توفلر » يحاول ان يركز اهتمامه على الاشياء اليومية . فيتحدث عن المساكن فى المستقبل، وعن الاغذية والملاهى وعن هذه الكميات الهائلة من العلب والغلافات والمنتوجات التى يرميها الانسان فيلوث بيئته . كما يتحدث عن نوعية أسواق المستقبل، وعن دور الثقافة وتأثرها بالادمغة الالكترونية، وعن هذا الانسان الذى يتعرض الى عدد متزايد من المنبهات والمثيرات . وقد يصبح يوما ما عاجزا عن الانسجام والتلاؤم مع كل ذلك .

ان التغير كما يقول المؤلف عبارة عن عملية هجوم المستقبل على حياتنا باشياء جديدة . اذا لابد من مواجهة هذا التغير ليس فقط من زاوية دراسية نظرية بل من وجهة نظر الاشخاص الذين يحيون اليوم تجربة التغير . فتزايد واستمرار سرعة التغير يترك آثارا لا تنكر فى حياة الفرد والمجتمع .

ويهتم المؤلف بتحليل النتائج النفسية والمادية لهذا التغير . وفى رايه أن مرور الزمن قد يجعل قدرة الانسان على التلاؤم اقل فعالية .

ويهدف السيد « توفلر » ، ولو انه لم ينجح الا فى حدود ضيقة، — الى مساعدة القارىء على فهم المستقبل وتوسيع معلوماته بغية زيادة طاقاته الانسجامية . ويدعو الى زيادة تبصر الانسان بملكاته وقدراته وردود فعله تجاه التغيرات التى تهاجم حياته . وبالاضافة للاهداف والاتجاهات التى يقودنا نحوها التغير والتقدم التقنى، يجب أن نهتم بالسرعة وبمعدل التغير الذى نعيشه . اذ لا ينبغى أن نهمل المحافظة على التوازن بين سرعة تغير وبين قدرة الانسان الانسجامية وردود افعاله .

ويلاحظ المؤلف انه صدم لما لاحظ من جهل أولئك الذين ينادون بالتغيير بدعوة القدرة التلاؤمية لدى الانسان . وفى رأيه أن « صدمة المستقبل » ليست بمشكلة « سوف » تحل بل انها خطر قد بدأنا نشاهد بعض آثاره . ويمكن وصف هذه الحالة بانها نفسية — بيولوجية ومحيطية، وبانها ناتجة عن سرعة ونوعية التغير التكنولوجى .

كثير من الناس فى البلاد الغربية خاصة ، يشكو من أن الحوادث تتحرك بسرعة اكثر مما تسمح لهم قدراتهم الانسانية بمتابعتها . فالطبيب يشكو من انه لا يستطيع أن يساير ما يجد فى مجال اختصاصه . ورجل الاعمال يقضى جزءا كبيرا من وقت راحته ليطلع على المعلومات المتعلقة بنشاطات شركته، والمهندس مضطر باستمرار لقراءة مقالات وبحوث لتجديد معلوماته .

ويشير الكاتب الى ان احد اهداف كتابه هو التأثير على القارىء، ولو بطريقة غير كاملة، ليتخذ موقفا جديدا تجاه المستقبل . وكأنه يرمى لتقوية شعور القراء باهمية حوادث المستقبل وبالدور الذى يلعبه الفرد فى تحديد نوعية هذه الحوادث .

ولا ينسى أن يشير الى بعض الاحتياطات المتعلقة بتكهناته حول المستقبل، منها:

— سرعة فناء الحقائق . نحن نعيش فى وقت التغير والتحول السريع . فكم من بحث أو دراسة أو كتاب تجاوزته الحوادث قبل أن ينشر . وكم من آلة تفقد قيمتها وكم من اختراع يفقد فعاليته بسبب ظهور شىء افضل . فالعالم اليوم كله عبارة عن قصة تتطور حوادثها بسرعة . ولا يستثنى المؤلف كتابه من هذه الحقيقة . فقد أمضى خمس سنوات فى البحث وزار عشرات الجامعات والمخابر والوكالات الحكومية وأجرى محادثات مع عدد كبير من العلماء حول موضوع كتابه . ومعنى هذا انه عندما طبع كتابه فى سنة 1970 كان قد مضى حوالى خمس سنوات على المعلومات التى جمعها .

— ونقطة أخرى هى انه لا يمكن التحدث عن المستقبل بالدقة والتأكيد . ومعنى هذا أن كل حكم يرد فى الكتاب حول المستقبل، هو مصحوب بشروط واستثناءات ضمنية . وعدم القدرة على التحدث عن المستقبل بدقة لا تبرر السكوت ولا ينبغى أن تقيد الفكر فى افتراضاته .

ويقول السيد « توفلر »

« ليس من الضرورى أن تكون النظريات جميعها صالحة لتكون مفيدة . فالخطأ فائدته . فالخرائط التى وضعت فى القرون الوسطى تبدو لنا اليوم مضحكة . غير أن عددا كبيرا من الاكتشافات اعتمد عليها . »

لقد اعتاد العلماء ان يدرسوا الماضى لالقاء الاضواء على الحاضر . ويحاول مؤلف « صدمة المستقبل » أن يتفهم المستقبل ويكون صورة عنه ثم يرجع لتحليل الحاضر، مستعينا بصورته تلك ويحاول ايجاد افضل السبل المؤدية الى مستقبل افضل .

يتبع